



التعبئة الروحية في الميثاق



على الجهد طوى



بقلم
عالیٰ الجببلاط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

من الميثاق الوطني

- إن القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الإنسان وعلى إضاءة حياته بنور الإيمان وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة .
- إن رسالات السماء كلها في جوهرها كانت ثورات إنسانية استهدفت شرف الإنسان وسعادته . . وإن واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته .
- على أنه يتعين علينا أن نذكر دائماً أن الطاقات الروحية التي تستمدّها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية أو من تراثها الحضاري قادرة على صنع المعجزات .
- وإذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة فإن الحوافز الروحية والمعنوية هي وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد .

التعبئة الروحية في الميثاق

مبنى الروحية :

الروحانية كلمة ترجع إلى (الروح) . . والروح هي قوى النفس التي توجه الإنسان في اتجاه خاص وبالأخص في اتجاه السلوك العملي والتصرف الخلق . ولو تتبعنا كلمة (الروح) لوجدناها تستخدم دائماً في مقابل (الجسم) ورغباته أو في مقابل القوى الحيوانية التي للإنسان . وكأن الإنسان على هذا — مجموع نوعين من مصادر القوى : أحد هذين النوعين يحمله على السعي والكفاح في سبيل البقاء الشخصي والنوعي . والنوع الثاني منهما يقوده في ذات الطريق الذي تتميز به الإنسانية والذي يعبر السير فيه عن السلوك الإنساني الخالص .

ومن أجل أن (الروح) مصدر التوجيه السلوكي في الإنسان عنيت الفلسفة القديمة — كما عنيت رسالات الأديان السماوية — بها وتوجيهها وكان مظهر هذه العناية يتجلى مرة في الحث على ممارسة الرياضة النفسية حتى لا تخضع النفس لسلطان البدن ورغباته ويتجلى مرة أخرى في تنوير الإنسان بقيم الحياة الإنسانية كحياة

يسود بها الإنسان على ماعداه . وكذا بتنويهه بقيم ماعدا هذه الحياة مما يسمى بالحياة المادية . وحينئذ عرف في تاريخ الحياة العملية للإنسان اتجاه المتصوفة والنسك كما عرف في تاريخ الفكر البشري ما يسمى بالفلسفة الأخلاقية وفي ثقافة المجتمع الإنساني ما يسمى بالتوجيه الديني .

والتصوف والفلسفة الأخلاقية والتوجيه الديني جميعها مصادر لإيقاظ الإنسان في أن يكون سلوكه إنسانيا أو روحيا وإذن (الروحية) و (الإنسانية) سواء فيما تهدف إليه كتابتهما ولا نقصد بالروحانية أو الإنسانية سوى أن يكون الإنسان في صفاء مع نفسه ومع غيره في مجتمعة بحيث لا تطغى عليه قواه الأخرى وهي القوى الحيوانية فيه .

التعبئة :

وكلمة (التعبئة) معناها الشحن ، والتعبئة الروحية إذا معناها شحن الروح بالتوجيه الإنساني أو على الأقل : تهيئتها وإعدادها لأن تسير في طريق السلوك الإنساني لتحقيق القيم الإنسانية الفاضلة ومخاطبة النفس ودعوتها كي يبق لها الطابع الإنساني في تفكيرها وفي سلوكها سلوكا فرديا أو جماعيا . والقيم الإنسانية هي المبادئ العليا التي تحقق حياة السلام والاستقرار في نفس الفرد وحياة الإخاء والتعاون في المجتمع الإنساني ، هي مبادئ الحرية والعدل

والمساواة والتعاطف والمحبة وكل ما يسميه الأخلاقيون فضائل فردية أو جماعية وكذلك كل ما يأمر به الدين أو يستحسن فعله من الإنسان .

فإذا تضمن توجيه الإنسان هذه القيم ودعا إليها كان ذلك تعبئة روحية ، وإذا قامت التربية بتوجيه الإنسان إلى تلك القيم الإنسانية التي قد تسمى بالقيم الأخلاقية أو الروحية، وإذا تكونت عادات الناشئة على احترام هذه القيم وتقديرها كان ذلك كله تعبئة روحية .

وأعتقد أن مجتمعنا اليوم أصبح ذا وعى قرى بضرورة التعبئة الروحية فنهضة أى مجتمع يحاول أن يتخلص من مصادر الضعف الاقتصادي والسياسي ، ويحاول أن يحقق له في مقابل ذلك وضعاً قوياً في مجال الاقتصاد والسياسة — لا بد أن يعنى بمجال (الروح) أو بالتعبئة الروحية . لأن اقتصاد أى مجتمع لا يزدهر إلا إذا قام على تعاون وثيق بين أفرادهِ ولا يدفع إلى هذا التعاون الوثيق في مجال الاقتصاد إلا إدراك أفرادهِ لقيم الإخاء والمساواة والترابط ، وإلا إيمانهم بهذه القيم والسعى إلى تحقيقها .

قد يحمل القانون على التعاون في هذا المجال بحكم ما يصاحب هذا القانون من سلطة تنفيذية، ولكن سيبقى هذا النوع من التعاون متخلفاً في نتائجه عن ذلك النوع الآخر القائم على الإدراك والإيمان والسعى الذاتى لدى الأفراد .

وإن سياسة أى مجتمع داخلية أو خارجية لا تنجح نجاحاً واضحاً إلا إذا ارتبطت بما لدى الأفراد من شعور قوى بالإخاء والمساواة والعدل والحرية أى إلا إذا ارتبطت بالقيم الإنسانية وبالتالي إلا إذا ارتبطت بالمبادئ الروحية وقد تسير السياسة خطأ في طريقها بدافع القانون ولكن شتان بين دفع القانون وذلك الدفع الذى أسس على شعور ذاتى بين الأفراد .

وإن الوضع فى أية نهضة وفى أى مجتمع يتصل اتصالاً وثيقاً بالطاقات النفسية فلن يكون نهضة المجتمع نهضة ذاتية يجب أن تنبثق عن توجيه طاقات النفس .

وإننا بعد قيام الثورة المصرية الكبرى كان من الضرورى أن يعقب قيامها برنامج ضخم للتخطيط والتصنيع متكافئاً ضخامته مع ما فاتنا خلال السنين الطويلة التى رزحنا فيها تحت نير الإقطاع والاستعمار والفساد وكان المحتوم والثورة من الشعب وللشعب ضد أعدائه أن يتجه الباحثون إلى حماية هذه الثورة وإلى تحمل جميع الأعباء التى تفرضها لمصلحة المجتمع ولمصلحة الفرد فى تنفيذ برنامجها المرسوم . ولكن تنفيذ هذا البرنامج المأمول كما يحتاج إلى قوة بشرية كبيرة فإنه يحتاج أيضاً إلى طاقة روحية أكبر تدعم كيانه وتصون بناءه وتهب له القوة اللازمة للنجاح وتمده بالكفاية الضرورية للتنفيذ . وهذه الطاقة الروحية التى لا بد منها إنما مبعثها

فى الحقيقة هو الإيمان . الإيمان الذى يكشف للإنسان حقيقة
وحقيقة الـكون ويمد بصيرته بالنور . وهذا الإيمان الذى نشير
إليه هو الأساس لكل إيمان . هو الأساس لإيمان الإنسان بنفسه
وبوطنه وبجميع الحقائق الشريفة التى وصل إليها العقل البشرى فى
جميع العصور والأجيال وإنما كان كذلك لأنه مصدر لجميع
الأفكار الإنسانية التى وصل إليها الإنسان فى حياته منذ البداية
كالعدل والشرف والإباء والتضحية ولأنه خالق للأمل الذى
بدونه تصبح الحياة عبثاً لا يطاق وهذا هو الذى لم يستطع الماديون
أن يدركوه فأخطئوا النظر إلى الإنسان وحسبوه آلة تسيرها
القوانين الميكانيكية وما هو كذلك فالإنسان فى الواقع قوة روحية
ضخمة . قوة تكمن فى نفسه لا تستطيع أن تقف أمامها أى قوة
مادية مهما بلغت وهذا هو سر تفوقه وسر بقاءه ومجتمعه الذى تبنى
الثورة وتخطط له حياته وتدعم له مستقبله بهذه الانتصارات الضخمة
فى شتى الميادين مجتمع يحكمه الإيمان بالقوة المسيطرة على كل شئ
والمدبرة لكل شئ . والإيمان بالإنسان كقوة روحية هائلة ،
هو مجتمع لا تحكمه إلا الأفكار المنبغثة عن هذا الإيمان الروحى
مجتمع وجد نفسه وعرف حقيقة وأرسى قواعد حريته لأنه
يريدها وهو صاحبها ولأنه بدونها لا يبدع ولا يشق طريقه إلى الغد
المنتظر فى كفاءة وشجاعة .

الإيمان كقوة روحية هائلة يمدنا بالقوة الضرورية لبناء مجتمعنا على أسس اشتراكية ديمقراطية تعاونية وورشاتج الايمان فى نفس مجتمعنا راسخة رسوخ الجبال .

منزلة الدين فى مجال التبعة الروحية :

وإذا عرفت البشرية والمجتمعات الإنسانية مذاهب التصوف ، ومذاهب الفلسفة الأخلاقية ورسالات الأديان السماوية كصدر لتوجيه الروح توجيهاً إنسانياً يقوم على تحقيق أخص ما للإنسان فى حياته وهو ماله من قيم — فإن الدين من بين هذه المصادر كلها له الصدارة والمنزلة الأولى . وسبب ذلك أن الرياضة النفسية التى تطلبها مذاهب التصوف المختلفة شىء محمود فى ذاته ولكن ممارسة هذه الرياضة ليست فى استطاعة كل فرد بل إنها ليست فى استطاعة أكثر الناس . ومن ثم فلا استجابة لها تكون استجابة محدودة .

وأما المذاهب الفلسفية الأخلاقية فإنها وإن كانت تدعو إلى الفضائل وتحقيق المثل العليا فى حياة الإنسان . فإنها فيما بينها متفاوتة ومختلفة : سواء فى تحديد هذه الفضائل أو فى تحديد تلك القيم فمثلاً الميكيا فيلية ومذهب المنفعة يعدان من المذاهب الأخلاقية الفلسفية .

وهنا يكون الدين — لأنه رسالة السماء — مصدر التوجيه

الذى ارتفع عن غلو مذاهب التصوف ، وعن تفاوت واختلاف مذاهب الفلسفة الأخلاقية .

ومن أجل هذا نرى في تاريخ المجتمعات الإنسانية اقتران الدين بالروحانية ونرى ارتباطاً بينهما — وإذا فاق الدين الآن مذاهب التصوف والفلسفة الأخلاقية في توجيه الروح وفي الإيمان بالقيم الإنسانية والسعى إلى تحقيقها فالتعبئة الروحية يجب أن تكون مستوحاة من توجيهات الدين وتعاليمه كما توحى بها مصادر الدين نفسه في سلامتها وفي وضوحها والدين كما نعلم ضرورة فردية وضرورة اجتماعية وهو دفع إلى تكوين الحضارة الإنسانية وإلى بقائها ، إذ الحضارة الإنسانية ليست تقدماً في الآلة والمصنع وإنما هي تقدم في الخصائص الإنسانية . الحضارة الإنسانية ثمرة الإنتاج الإنسانى وليست ثمرة الآلة . وليست الآلة إلا في خدمة الحضارة الإنسانية ولكنها ليست من مقوماتها .

والمجتمع بدون تعبئة روحية مجتمع يسانى . وتعبئة روحية بدون دين مجرد غير منمرة .

الميل :

لقد كان الرئيس المفدى جمال عبد الناصر موفقاً كل التوفيق حينما اختار لفظ الميثاق ليجمعه عنواناً على البادئ العليا التي أراد أن يرتبط بها ، وأن يرتبط بها جميع أفراد الأمة ذلك بأنه يريد بها

عهداً وميثاقاً يعاهدون الله عليه وتلتاقى عليه قلوبهم وألستهم وأعمالهم وتصدر عنه قوافلهم الإصلاحية التقدمية فى السياسة والفكر والاجتماع والاقتصاد والعمل والسعى والعلاقات الخاصة والعامة فى البلاد وخارجها وقد قدم رئيسنا الملمهم إلى شعب الجمهورية العربية المتحدة وإلى الشعوب العربية والأسبوية والإفريقية وسائر شعوب العالم ميثاقنا الخالد الذى سينير الطريق أمامنا ويسهم فى تطوير النهضة الاجتماعية للانسانية كلها والميثاق حين يتولى تحديد القيم والمفاهيم للجمتمع الجديد فهو يمثل نقطة انطلاق ثورية للمستقبل وهو وقفة على الطريق الثورى الطويل يتجمع فيها الشعب على نفسه ليلبور فلسفته ويصوغ مكاسبه ويضع الصمامات الأساسية لها ثم لينطلق بعد ذلك فى ضوءها إلى أهدافه البعيدة ولذلك لم يتضمن الميثاق إلا الأصول والكيليات العامة .

التعبئة الروحية فى الميثاق :

ولقد أدرك قائدنا العظيم وباعث نهضتنا الرئيس جمال أن العالم يجتاز أزمة حضارية يشترك فى الاكتواء بنارها الشرق والغرب على حد سواء وقد تمثلت أزمة هذه الحضارة فى ذبول العنصر الروحى فيها وطغيان العنصر الوثنى وإذا بالتقدم العلمى والصناعى الهائل الذى دفعت إليه هذه الحضارة يتم كله بمعزل عن الجوانب الروحية للانسان كما أدرك أن أهم رسالة للشبيبة الواعية تقوم بها

في فترة تجميع طاقات الانطلاق التي نشهدها اليوم — هي العودة إلى تراثنا الروحي تعمقه وتستلهمه وما لم توجه العناية الكافية إلى إصلاح نفوس هذه الشبيبة وملء فراغها بطاقات الخير، وما لم تؤهل تأهيلاً جدياً لحمل هذه الأمانة الكبيرة فلن يتم إصلاح جدي قادر على البقاء والاستقرار. لكل هذا كان اتجاه الميثاق إلى إبراز القيم الروحية المنبثقة عن الأديان ورسالات السماء في جوهرها الصافي فهي قادرة على هداية الإنسان وإضاءة حياته بنور الإيمان.

ولقد كان معلم الثورة رائدنا العظيم عبد الناصر على يقين من أنه لكي نتقدم لابد من الاتصال بماضيها، وماضيها هو ديننا وهو شريان حياتنا وهو قوتنا وعزتنا لأن في هذا الدين كل عناصر الحياة المتجددة القوية الفاضلة فكان منا كما قال رسول الله عليه السلام (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلاً يجدد لها أمر دينها) وتجدد الحقائق الدينية هو إبداءها قوة واضحة تنير السبيل وهكذا فعل رئيسنا جمال في ميثاقه العظيم وسلك لذلك سبيلين :

السبيل الأول : قد برز في أنه لمس حقيقة الأديان وجوهر رسالتها وأنها قبل أن تكون نصوصاً إنما هي (روح) من الله لا روح تحيا بها الأبدان ونحوها بل روح تهب الإنسان (طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة) وأن حياة الإنسان هي حقيقة الباطنة حياة المبادئ والمثل لا حياة بدنه الذي يغدو وروح

بين الناس وأن الوجود المعنوي لا الجثمانى أو (الحقيقة الإنسانية) ليست شيئاً من قبيل المادة وإنما هو مجموع المثل الفاضلة والصفات السكرية والمبادئ الروحية التي يجب أن تحكم حياته وتصرف إرادته . لمس كل ذلك فالتخذ هذا سبيله الأول للتعيشة الروحية في الميثاق ويتضح هذا في أن الميثاق من أوله إلى آخره تقويم صالح لروح الشعب عبر التاريخ من أقدم العصور إلى اليوم ثم هو يرصد ما يكون من أمر ذلك الروح في المستقبل من تغييرات ثورية يعبر بها عن مشيئته وهو يمجّد روح ذلك التاريخ وتفاعله مع ماحوله وما أفاض عليه الإسلام وبث فيه من بصائر النور وطاقات الحياة والقوة فيقول في الميثاق (وهي - أي مصر - لم تعيش حياتها في عزلة عن المنطقة المحيطة بها بل كانت دائماً بالوعى - وباللاوعى في بعض الأحيان - تؤثر فيها عوّلها وتتأثر به كما يتفاعل الجزء مع الكل وتلك حقيقة ثابتة تظهرها دراسة التاريخ الفرعوني صانع الحضارة المصرية الإنسانية الأولى وكان الفتح الإسلامي ضوءاً أبرز هذه الحقيقة وأثار معالمها وصنع لها ثوباً جديداً من الفكر والوجدان الروحي) وهذا التقويم الواضح الراشدين ح الشعب في فرعونيته وإسلامه والتشويه بفضل الإسلام في تركيبه وإعلانه يجعلنا نلهج بالنساء حين يعضى الميثاق في تقويم الدور الرابع الذي أداه ذلك الروح في إطار مناهج الإسلام فيجعله أعظم الأدوار على الإطلاق كما نص الميثاق (وفي إطار التاريخ الإسلامي وعلى هدى

من رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - قام الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة الإنسانية وقبل أن ينزل ظلام الغزو العثماني على المنطقة بأسرها كان شعب مصر قد تحمل ببسالة منقطعة النظير مسئوليات حاسمة لصالح المنطقة كلها (فإذا جثم الظلام بالغزو العثماني اضطرب الروح الضخم أن ينطوى على نفسه يجمع طاقاته في انتظار الفرصة التي يستأنف بها عمله الإيجابي تاركا للمستعمر وأعوانه أن يظنوا به الاستسلام أو الفناء وهذا يصدق على أيام محنتنا بأسرة محمد على والاحتلال وفي هذا يقول الميثاق (ومن عجب أن هذه الفترة التي ظن فيها الاستعمار والمتعاونون معه أنها فترة الخمود كانت من أخصب الفترات في تاريخ مصر بحثا في أعماق النفس وتجميعا لطاقات الانطلاق من جديد . لقد ارتفع صوت محمد عبده في هذه الفترة ينادى بالإصلاح الديني) وبعد أن نرى تقويم الميثاق للدور الرائع الذي أداه روح الشعب الخلاق المبدع في إطار مناهج الإسلام نرى ضمير الثورة المؤمن يقدر الدين ويؤمن به كله ويأبى أن تكون الثورة حركة علمانية لا ترتبط بدين ولا تتركز على عقيدة وهنا نرى الميثاق ينظر إلى الأديان النظرة التي تستصفي الروح وتستخلص الجوهر فهو روح وقيم وثورات . جوهر إيجابي لا يتصادم مع حقائق الحياة وهذا ضمير الثورة المؤمن في الميثاق (يوجب للعقيدة الدينية قداسها في حياتنا الجديدة الحرة) ويهيب في قوة أن تجعل (واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ

للدين بجوهر رسالته) وإنما لنحمد لثورتنا المؤمنة هذه النظرة السامية للدين في عصر يعلن فيه قادة الثورات الملمدة أن الدين سبب التخلف والجمود بل يصفونه بأنه مخدر للشعوب ولكن قائدنا المؤمن يعلن في الميثاق (أن قيم الدين قادرة على منح الإنسان طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة) كما يعلن (أن رسالات السماء كلها في جوهرها ثورات إنسانية استهدفت شرف الإنسان وسعادته) وذلك لأنه لمس حقيقة الأديان وعلم أن الدين روح قدسى وفي الإنسان روح قدسى فإذا التقى وحى السماء بالسر المضمحل في كيان الإنسان نشأت الطاقات التي لا حدود لها (في مثل الحق والخير والمحبة) وكذلك يقرر الميثاق (أن جميع الأديان ذات رسالة تقدمية) ثم لا نلبث أن نرى في الميثاق أثر الدين في تحويل الإنسان إلى طاقة إيجابية تبذل أو تنتج للإنسانية أفضل مثلها وقيمها كما أسلفنا فيقول الميثاق (إن القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الإنسان وعلى إضاءة حياته بنور الإيمان وعلى منحه طاقات لا حدود لها من الخير والحق والمحبة) وبعد أن يشير الميثاق إلى الثورية والتقدمية في رسالات السماء وأنها لا تتصادم وحقائق الحياة يقرر أنها دستور لحقوق الإنسان في الحياة والحرية والفرص المتكافئة إذ يقول (إن جوهر الأديان يؤكد حق الإنسان في الحياة وفي الحرية بل إن أساس الثواب والعقاب في الدين هو فرصة متكافئة لكل إنسان . . إن كل بشر

يبدأ حياته أمام خالقه الأعظم بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله باختياره الحر ولا يرضى الدين بطبقة تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحسك ثواب الخير لقلّة منهم) ولقد جاء الميثاق وليدًا لمجتمعنا الاشتراكي الديمقراطي التعاوني الذي يؤكد العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص أمام الشعب بمختلف طوائفه وهيئاته ولقد أكد في طياته أساساً سليمة حتى يمكن للمجتمع أن يحققها وفقاً للتخطيط الاشتراكي المنبعث من احتياجاتنا وكياننا وتاريخنا وديننا ولقد أشعر الميثاق كل فرد بأنه استعداد حقه في حياة كريمة يمكن أن يرسى جذورها بنفسه ليحقق آماله وأمانه في الحياة (وأن الله جلت حكمته وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر أساساً للعمل في الدنيا والحساب في الآخرة) وتأكيذاً لهذا الأصل الديني العام كان طبيعياً أن يؤكد الميثاق أساساً لبناء المجتمع الجديد (أن حرية الانسان الفرد هي أكبر حوافزه على النضال وأن حرية كل فرد في وضع مستقبله وفي تحديد مكانه من المجتمع وفي التعبير عن رأيه وفي إسهامه الإيجابي في قيادة التطور وتوجيهه بكل فكره وتجربته وأمله ، هي حقوق أساسية للإنسان لا بد أن تصونها له القوانين) وعلى قدر هذا الإيمان بالقيمة الذاتية للإنسان الفرد بحريته وبقدرته على دفع التطور كان تصوير الميثاق لفلسفتنا الذاتية في الاشتراكية الديمقراطية وكان مدخلنا الرئيسي لهذه الفلسفة الذاتية عقيدتنا في أنه (لا حرية للفرد بغير تحريره أولاً من

رائث الاستغلال بكل صوره) وهو ما يجعل الحرية الاجتماعية حسبنا أكد الميثاق بحق مدخلا إلى الحرية السياسية بل هى مدخلها الوحيد فليس مما ينسکر أن ضمان رغيف الخبز أمر لا بد منه لحرية تذكرة الانتخاب .

وإن هدف الثورة الأسى الذى ثبتت النظر عليه هو إعداد الشعب بأسره لرسالة السلام وإبداع الخير وفى ذلك يقول الميثاق (إن شعبنا يعيش ويناضل من أجل المبادئ السامية .. إن شعبنا قد عقد العزم على أن يعبد صنع الحياة على أرضه بالحرية والحق والكفاية والعدل والمحبة والسلام) وإذا جعل غيرنا ضرورة الاقتصاد غاية جهده فغنايتنا الإنسانية تجعل لنا فى فهم الاقتصاد وجها آخر يقرره الميثاق فى قوله (وليس العلم للمجتمع عقبة تفرض على العلماء أن يلتزموا بمشاكل الخبز المباشرة وحدها .. إن ذلك يصبح تفسيراً ضيقاً لرغيف العيش الذى نريده) وعلى قدر ما أشاد الميثاق بالأدوار النورية التى اعتمدت على الوسائل الحسية لتنظيم مجتمعنا عاد يقرر (وإذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة فإن الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد) وهناك نزعات سطحية يغذيها الغرور بأخلاق مشوشة من الثقافات الأجنبية وما تلقفت من قشور المذاهب المنحرفة مما جعل الثورة

تجرد العزم لصيانة ضمير الأمة مما عسى أن يلقيه فيه أصحاب هذه النزعات وما يتسلل في نفوس الشعب من المآثم وذلك بتزييف الأهداف أو غموضها أو تقريب مداها في لقمة العيش التي يتعجلونها وهنا يذوى الوجود الروحي في الضمائر وهي جناية على الضمير الإنساني وعلى الانطلاق القومي الذي لا يجديه إلا أن ينبعث عن طاقات حاملة لا عن طاقات آلت إلى فراغ لا غناء فيه وفي هذا يقول الميثاق (إن تحريك طاقات الشعب إلى العمل لا يجب أن يتم عن طريق إغراق الجماهير في الأمل .. إن التغيير الكبير بطبيعته يصاحبه تطلع بعيد المدى إلى الأهداف المرجوة من النضال وليس من حق في هذه المرحلة أن نخدع الجماهير بالمتى) ويصف الميثاق تلك النزعات الطائشة بأنها (مراهقة فكرية) ويعلم أنها (خطر ينبغي التصدي له والقضاء عليه فإن الذين يحمدون الكفاح الوطني بتفسيرات تحد قدرته على الانطلاق إنما يمللون مرقرة المجتمع بقدر ضعفهم .. إن التقدم الوطني لا يحققه كلمات محفوظة عالية الرنين ليس هناك شعب يستطيع أن يبدأ تقدمه من فراغ وإلا كان يتقدم إلى الفراغ ذاته) ومن هنا يتضح أن سبيل التقويم الصادق للعمل الثوري أن ترد تلك الأعمال إلى المسار الذي لا يختلف ذوو البصائر على اعتماده وهو الغاية . وإننا نقرر أن ضمير الشعب النقي المؤمن إذ ألهم طلائعه الثورية حقيقة الغاية التي أعدها الإنسان

إنما ألهمها أشرف غاية في الوجود . وفي هذا يقول الميثاق (لقد كان هذا الشعب العظيم هو المعلم الأكبر الذى راح يلقن طلابه الثورية أسرار آماله الكبرى) وإننا لانشك وقد استهدت الطلائع الثورية ضميرها القومى المؤمن أننا سائرون إلى مجتمع أصيل يرسى بناءه على قواعد من الإيمان كما يقول الميثاق (إن شعبنا يملك من إيمانه بالله وإيمانه بنفسه ما يمكنه من فرض إرادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه) وإننا لنذكر في كل المناسبات التقدمية أن ضمير الثورة يتخذ من الإيمان بالدين وما يمنح الشعوب من طاقات ملاذه ومرفاً النجاة فعندما أشار الميثاق بدور العلم في نهضتنا بدأ يؤكد ضرورته لنا بقوله (إن العمل الثورى لا بد له أن يكون عملاً علمياً وإذا تخلفت الثورة عن العلم فعنى ذلك أنها مجرد انفجار عصبى تنفس به الأمة عن كبثها الطويل دون أن تغير من واقعها شيئاً) ويمضى في بيان مكان العلم في حاجتنا إليه ذاكرة في أسف ما كان من تفريط في الماضى وينتهى بصيحة مصممة (إننا لانستطيع أن نتقاعس لحظة عن الدخول منذ الآن في عصر الذرة) حتى إذا اطمأنت المراهقة الفكرية بدعوتنا إلى العلم . المادى أخدمهم الميثاق بهذه الدعوة المفاجئة في قوله (على أنه يتعين علينا أن نذكر دائماً أن الطاقات الروحية التى تستمددها الشعوب من مثلها العليا التابعة من أديانها السماوية أو من تراثها

الحضارى قادرة على صنع المعجزات . . إن الطاقات الروحية للشعوب تستطيع أن تمنح آمالها الكبرى أعظم القوى الدافعة كما أنها تسليحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بها جميع الاحتمالات) وهى ليست مجرد تقرير نظرى أو مجاملة عابرة للمؤمنين بالأديان وبالقوى الروحية وإنما هى تحدد فى وضوح غاية الحياة وموازن التقديم فى ظل نظامنا الجديد ذلك أن السعى لتحقيق الرخاء المادى قاسم مشترك بين الفلسفات جميعا وموضع تلتقى عنده النظم السياسية والاقتصادية على اختلاف صولها النظرية وأسايلها فى التطبيق وإنما الذى يميز الحضارة العربية الإسلامية عن هذه النظم والفلسفات إنما هو تحديدها لقيمة الحياة وتقويمها الخاص للجهود الإنسانى تقويما يعتمد على النية المصاحبة له وهو التقديم الذى يرشد إليه قوله تعالى (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين) وكما كان الميثاق واضحا فى تحديد رسالة الأديان فى بناء النهضة المصلحية فقد كان أمينا فى تسجيل دورها فى تحقيق ما تم من ثورة إصلاحية فقرر أن هذا العمل العظيم قد تحقق بفضل عدة ضمانات يتوجها جميعا (إيمان لا يتزعزع بالله وبرسله ورسالاته القدسية التى بعثها بالحق والهدى إلى الإنسان فى كل زمان ومكان) .

ولقد جاء الميثاق واضحا فى تحديد معالم الاشتراكية العربية التحديد الذى يرفع كل لبس حول حقيقة ثمة جاء السيد الرئيس

جمال عبد الناصر فأكد عمق الفوارق التي تميز اشتراكيةنا العربية عن الاشتراكية الماركسية في النظر والتطبيق جميعاً ولا نشك لحظة في أن الإسلام بعميقته وفلسفته الأخلاقية وشريعته قد كان وسيظل دائماً وراء هذه الاختلافات الرئيسية وترجع إلى أمور ثلاثة :

١ - الأمر الأول يتصل بإيمان الفلسفة التي قام عليها الميثاق بالله تعالى وكتبه ورسله وإيمانها بالقوى الروحية في الإنسان باعتبارها قوى أصيلة موجهة لا قوى تابعة ولا محكومة ومعروف أن الفلسفة الماركسية تقوم على التفسير المادى المطلق من جهة ولحاجز العلاقات الاجتماعية والاقتصادية من ناحية أخرى .

٢ - الأمر الثانى يتصل بجوهر النظام الاقتصادى وهو الحق فى الملكية الفردية فبينما تقوم الاشتراكية الماركسية على محاربة الملكية الفردية لوسائل الإنتاج كما ترى الميثاق يقرر صراحة (أن سيطرة الشعب على كل أدوات الإنتاج لا يستلزم تأميم كل وسائل الإنتاج ولا نلغى الملكية الخاصة ولا تمس حق الإرث الشرعى المترتب عليها) ثم يقرر فى صراحة أن (المواجهة التورية لمشكلة الأرض فى مصر كانت بزيادة عدد الملاك) كما يعود فيؤكد ضرورة وجود قطاع خاص إلى جوار القطاع العام ملاحظاً أن (استمرار دور القطاع الخاص بجانب القطاع العام يزيد من فعاليات الرقابة على الملكية الشعبية العامة ويقوم بدور عامل منشط

لها) ولا شك أن الميثاق في تقريره أصل الملكية الفردية على هذا النحو كان خاضعاً لما تملّيه روح الإسلام فوقف الإسلام من الملكية الفردية لا يحتمل التأويل والله تعالى يقول (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) ويفيض في الاعتراف بملكية الأرض مع إلزام مالكها بأداء حقها من الزكاة أو الضريبة فالملكية الفردية في الإسلام حرمة لا يقبدها إلا ما يقيد الحقوق كلها من ضرورة رعاية حق الله فيها قال تعالى (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) .

٣ - الأمر الثالث الذي أسهم الإسلام في تحديد موقف الميثاق منه هو نظرة إلى الصراع بين الطبقات فلاستراتيجية الماركسية تعتبر هذا الصراع بين الطبقات القوة الدافعة الكبرى ثم هي في علاجها لهذا الصراع لا تنبغ أسلوباً سليماً يقرب بين الطبقات أو يمنع ظلم أحدها لآخرها والقرآن يتحدث كثيراً عن طبقة «المترفين» في المدن والقرى التي أرسل إليها الأنبياء والمرسلون ويشير إلى ذلك الصراع بقوله (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) وإنما يظهر الفارق الحاسم بين الإسلام والماركسية في علاج الإسلام للظلم الاجتماعي الذي يؤدي إليه استبداد طبقة من الطبقات فبينما تحارب الماركسية الظلم بالظلم وتحرك لذلك أحقاد الطبقة المظلومة تمهيداً لإعلانها الطبقة المنتصرة الظالمة نرى الإسلام

فى اعتدال وروح مسالمة ببناءة يعلم المظلومين أن الظلم لا يحارب إلا بالعدل وقد أعلن النبى مبدأ العدل الإسلامى فى ذلك بقوله تعالى (فإن تبتم فلسكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) وتأثرا بهذه الروح الإسلامية المسالمة جاء الميثاق مقررًا أن الطريق الاشتراكى الذى سارت فيه البلاد يتيح الفرص (لحل الصراع الطبقي سائما) ويتيح بذلك (إمكانية تذويب الفوارق بين الطبقات) كما أكد فى وضوح أنه جاء (لتذويب الفوارق بين الطبقات وإنهاء سيطرة الطبقة الواحدة) فسبيل الاشتراكية العربية إذن هو إنهاء سيطرة الطبقة الواحدة أى طبقة وليس استبدال ظالم بظالم أو طبقة ظالمة بأخرى .

ولعل فيما قدمناه عن اشتراكيّتنا العربية خير تمهيد للحديث عن السبيل الآخر الذى سلكه باعث تراثنا الروحي وحضارتنا الإسلامية الرئيس جمال فى التعمية الروحية فى الميثاق .

السبيل الآخر : إنه أدرك أن الإسلام الخفيف بما رسمه لمجتمع من حدود ومبادئ لأصلاح الفرد وتوجيهه إلى أسنى المعانى النفسية والخلقية باعتباره اللبنة الأولى فى بناء المجتمع ثم رسم من المبادئ والتعاليم ما يعمق فى نفسه الشعور الدينى ويقوى لديه الإحساس بالكرامة الانسانية فيتجه بحبه ومشاعره إلى الجماعة يعمل فيها ويتفاعل معها تفاعلا إيجابيا بناء . لمس هذا فى الدين القيم

فأقام دعوة الميثاق الوطنى فى جوهرها وآمالها وأهدافها على دعوة الاسلام وجعل قيمه العليا تلتقى مع القيم الانسانية التى ننشدها فى مجتمعنا الاسلامى فاتخذ سبيله الآخر للتعبئة الروحية فى الميثاق المطابقة بين كتاب الله وسنة رسول الله عليه السلام وبين دعوة الميثاق لتستقر هذه الحقائق فى يقين الناس على أساس من الثقة بالكتاب العزيز والحديث الشريف ولتجد به الضمائر زادها الذى تحيا به وتبصر حقيقة الحياة .

وهذه هى المبادئ الستة المشهورة التى أنت بها الثورة لمواجهة ما كانت عليه حالنا قبل الثورة وكما من صميم تعاليم الدين القويم ولها من كتابه إسناد وإسناد وقد نوه الميثاق عن هذه المبادئ فى بابه الأول :

١ - (فالقضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين)
هو صدى لما يطلب الإسلام لأهله من العزة قال تعالى (والله العزة
ولرسوله وللمؤمنين) ويندد بأعوان الاستعمار واتخاذ اليد عند
الاعداء فى قول الله (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين
يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتخذون عندهم العزة
فإن العزة لله جميعا) .

٢ - (أما القضاء على الاقطاع) فإن الإسلام لا يرضى عن
الكسب إلا إذا كان مشروعا ومن موارد طيبة لامن الاستغلال

والكسب غير المشروع كما كان يفعل السكتيون من أصحاب الملايين قال تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً) وقوله جل شأنه (والذين يكمزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) .

٣ - (والقضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم) هو مبدأ الإسلام في النهي عن الاحتكار وأن المحتكرين مطردون من رحمة الله ولا يرضى بأن يكون للمال سيطرة على الحكم قال تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام أتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) ٤ - (أما إقامة عدالة اجتماعية) فهي أمر الإسلام بإقامة العدل قال تعالى (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) ويجمع بين العدل في الحكم والعدل بين أفراد المجتمع في حياة قوامها الاحسان والبر والنضام الاجتماعي قال تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى)

٥ - (أما إقامة جيش وطنى قوى) فهي استجابة لدعوة الدين الحنيف بإعداد القوة في كل جانب من جوانب الدولة ومن أولها الجيش المدافع عن البلاد قال تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)

٦ - (وأخيراً إقامة حياة ديمقراطية سليمة) وهي مبدأ الإسلام في الدعوى إلى الشورى وإقامة الحكم على أساسها فيصف المؤمنين بقوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) وأمر الرسول الكريم بقوله (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) هذه هي المبادئ الستة التي قامت على أساسها النورة المباركة والتي سجلها الميثاق ارتباطاً مع الأمة عابها ثم يتحدث الميثاق بعد ذلك عن القدرات الثلاث التي يجب أن تسلم بها النورة نفسها لتصمد لمعركة المصير التي تخوض غمارها وهذه هي القدرات :

١ - (الوعي القائم على الإقتناع العلمي النابع من الفكر المستنير والناجم عن المناقشة الحرة التي تتمرد على سياط التعصب أو الإرهاب) وهذا ما يرشد إليه الدين القيم حين ينهى عن أن يتبع الإنسان ما ليس له به علم ويعتبر الإنسان مسؤولاً عن منافذ العلم فيه من سمع وبصر وقلب قل تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) ثم يدلنا على المنهج العلمي السليم من استماع سائر الأقوال ووزنها بالبحث والنظر والمناقشة الحرة الخالية عن التعصب لاتباع الأحسن بعد المعرفة قال تعالى (والذين يستمعون القول فيتعنون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

٢ - (والحركة السريعة الطليقة التي تستجيب للظروف في

مجاهدة النضال مع الارتباط بأهدافه ومثله الأخلاقية (فالاستجابة للظروف تتضح في قوله تعالى (ولا تقتلواهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم) فإذا انتهك الأعداء حرمة المسجد الحرام بالقتال فيه فلا نقف جامدين بل نبادلهم القتال استجابة لهذه الظروف على وجه السرعة . أما رعاية المثل الخلقي والأهداف فهي مثالية حرص عليها الميثاق وتوضح في قوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) فهو أمر بالقصاص مع مراعاة مثله وأخلاقيهم المعبر عنها (بتقوى الله) .

٣ - (أما الواضح في رؤية الأهداف وتجنب الانسياق الانفعالي) فذلك أساس عام في التثبت والتبين قبل الحكم على الأشياء وعدم التأثر بالانفعالات التي يؤدي التأثر بها إلى الابتعاد عن الطريق القويم ثم الندم فيما بعد وهذا يتضح من قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومه بجهالة فتصيبوا على ما فعلتم نادمين) هذه فقرات تصور المبادئ التي قام عليها الميثاق وتبين أنها تلتقي بمبادئ الإسلام وهكذا ينص الميثاق في بابه الثامن مع التطبيق الاشتراكي ومشاكله (إن العمل الإنساني الخلاق هو الوسيلة الوحيدة أمام المجتمع لكونه يحقق أهدافه . العمل شرف . والعمل حق . والعمل واجب

والعمل حياة . إن العمل الإنساني هو المفتاح الوحيد للتقدم .
 إن العمل الوطني المنظم القائم على التخطيط العلي هو طريق الغد)
 وهذا هو الإسلام يجعل العمل رأس المال قبل كل شيء قال عليه
 السلام (جعل رزقي تحت ظل رمحي) وقال تعالى (هو الذي جعل
 لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) والقرآن
 يدفعنا إلى العمل دفعاً فقال (وقل أعمالوا فسيرى الله عملكم ورسوله
 والمؤمنون) وقوله (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض
 وابتغوا من فضل الله) والعمل في الإسلام مطابق واسع الرحاب
 غير مقيد بإطار طالما ليس فيه إضرار بالغير ، والإسلام حين
 يفتح باب العمل على مصراعيه أمام المسلمين كافة إنما يدفعنا
 للكسب الحر النظيف في تجارة ورزق كبير قال تعالى (لا يلاف
 قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت
 الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) كما أمرنا أن نسلك
 طريق الزراعة لنطعم وننعم قال جل شأنه (فلينظر الإنسان إلى
 طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شققا فأنبتنا فيها حبا
 وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعاً لكم
 ولأنعامكم) ووجهنا للصناعة وما فيها من أهمية ويشير إلى صناعة
 الحديد (فيه بأس شديد ومنافع للناس) وقال تعالى (وعلمناه
 صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم) وقال تعالى في صناعة

الملابس (قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشا) والله يجعل العاملين مراتب بحسب العمل قال تعالى (ولكل درجات مما عملوا) وقال (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) .

ويقول الميثاق (إن الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية ولا يمكن أن تتحقق الديمقراطية السياسية في ظل سيطرة طبقة من الطبقات والصراع الحتمي يكون حلها سليماً في إطار الوحدة الوطنية وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات) وإننا لنلح ذلك في الإسلام حينما دعا إلى أن تكون ملكية الأرض وموارد الثروة ومصادر الإنتاج موزعة على صعيد شعبي متقارب الفوارق أما إذا صار الملك والغني في جانب والفقير والضعفة في جانب آخر فالديمقراطية السياسية سراب لا حقيقة له قال تعالى (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) وقوله تعالى إلى جانبه (وأمرهم شورى بينهم) إذ لا يكمل أن يكون الأمر شورى في أمة ما إلا إذا كان أفرادها ذوي أنصبه فيما يديرون الرأي فيه .

وينص الميثاق على (أن التنظيمات الشعبية وخصوصاً التنظيمات التعاونية تستطيع أن تقوم بدور مؤثر وفعال لتمكين الديمقراطية السليمة) وهكذا أفسح الشوار الطريق أمام التعاون ليؤدي رسالته

المستمدة من تعليم الدين القيم ولتحقيق دعوته التي هي قيس من تلك الدعوة السماوية التي تأمر الإنسان بفعل الخير فأشار الميثاق إلى التنظيمات التعاونية والعمل على تنميتها وازدهارها باعتبارها من أجهزة الدولة الديمقراطية الاشتراكية وقد تجلت دعوة الإسلام لها وحسنه عليها في قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقوله جل شأنه (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) .

● ويذكر الميثاق أن (الحرية وحدها هي القدرة على تحريك الإنسان إلى ملاحة التقدم وعلى دفعه . والإنسان الحر هو أساس المجتمع الحر وهو بناؤه المقتدر . ولا بد أن يستقر في إدراكنا أن القانون في المجتمع الحر خادم للحرية وليس سيفا مصلتا عليها) لقد أجمع العلماء على أن للفرد في الجماعة الإسلامية حقوقا وحرريات لا يملك الحاكم أن يمسها أو ينال منها بغير حق بل إن الحرية ركيزة من ركائز العقيدة الإسلامية وإن الحفاظ على كرامة الفرد وحرية أصل إسلامي لا يتصور إهداره بغير إهدار روح الإسلام نفسه فكانة الفرد في الجماعة الإسلامية هي المكانة الرفيعة التي وضعه فيها خالقه حيث يقول (ولقد كرّمنا بني آدم) وقوله جل شأنه (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) وأول القيم في الدين الإسلامي (الحرية) إذ جاء الإسلام لتحرير

الانسان من العبودية فالحرية الدينية والحرية السياسية والحرية الفكرية والحرية الشخصية كل أولئك قيم جليلة كفعلها الاسلام وحاطها بسياج من التشريع بشرط واحد هو ألا تنتهى هذه الحرية إلى الفوضى التى تضر بمصلحة الفرد والجماعة والقرآن يقول فى الحرية الشخصية (فلا عدوان إلا على الظالمين) أما حرية المساكن فقد قررها بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا) أما الحرية الدينية فقررها بقوله تعالى (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي) .

● وينص الميثاق على مقاومة التمييز العنصرى (إن إصرار شعبنا على مقاومة التمييز العنصرى هو إدراك سليم للمغزى الحقيقى لسياسة التمييز العنصرى فإن التمييز بين الناس على أساس اللون هو تمهيد للتفرقة بين قيمة جهودهم) والاسلام يقرر أن الناس جميعا متساوون فى طبيعتهم البشرية وأن ليس هناك جماعة تفضل غيرها بحسب عنصرها الإنسانى وخلقها الأول وانحدارها من سلالة خاصة وأن التفاصل بين الناس إنما يقوم على أمور أخرى خارجة عن كل ما سبق فيقوم على أسس كفايتهم وأعمالهم وما يقدمه كل منهم لربه ونفسه ومجتمعه والإنسانية جمعاء وفى هذا يقول الله تعالى (يا أيها

الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا
 إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) وهكذا يقرر ذلك
 سيدنا رسول الله عليه السلام في خطبة الوداع فيقول : (أيها الناس
 إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم من آرب وأمس
 لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض ولا
 لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى) ويذهب ديانا في تقديس
 كرامة الإنسان بغض النظر عن لونه وجنسه وعتيدته إلى الأمل
 بمعاملة الجوس كمعاملة الكتابيين قال عليه السلام : (سنوا له سنة
 أهل الكتاب) ومعاملة الرقيق بالرفق قال تعالى : (اتقوا الله فيما
 ملكت أيماكم)

• ويذكر الميثاق حرية العقيدة فيقول : (إن حرية العقيدة الدينية
 يجب أن تكون لها قداستها في حياتنا الجديدة الحرة) .

وقد بالغ الإسلام في تقديس حرية العقيدة الدينية حتى منع
 إكراه الناس على رأى ولو كان هذا الرأى هو الإسلام نفسه قال
 تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقال جل شأنه
 (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ولم يقف الإسلام
 عند تقرير هذه الحرية بل قرر لأهل الكتاب حرية كاملة في أن
 يعبدوا الله على طريقهم دون أن يكونوا في ذلك هدفا لسخرية أو
 موضعا لأذى فقال عليه السلام (من آذى ذميا فقد آذاني) وقال
 (من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقتة فأنا خصمه يوم القيامة)

ومما يهش له أن اللجنة المركزية لمجلس الكنائس العالمي التي تضم ممثلي مائتي كنيسة في أكثر من خمسين دولة شرقية وغربية أصدرت خلال اجتماعها في باريس قراراً أشادت فيه بالميثاق الوطني واعتبرت اللجنة الميثاق (نبراسا لتقدير رسالة الدين ومبادئ الحرية الدينية وقواعد العدالة الاجتماعية) كما جاء في قرار اللجنة أن (الميثاق يعتبر عملاً إنسانياً يقدر حرية العقيدة ويرسي قواعد العدالة الاجتماعية على أسس قومية من الحق والخير ويرفع حقوق الإنسان فوق مستوى المآرب السياسية والمصالح الذاتية)

• وينص الميثاق على حرية التعبير بقوله : (إن ممارسة النقد والنقد الذاتي يمنح العمل الوطني دائماً فرصة تصحيح أوضاعه وملاءمتها مع الأهداف الكبيرة للعمل) .

وكما نص الإسلام على مشاورة الحاكم للرعية قال تعالى : (وشاورهم في الأمر) فقد جعل مناصحة الرعية للحاكم واجبا عليها لذلك فرضه الله على المؤمنين فرض كفاية قياماً بأصل من أصوله هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى : (ولتكن أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) .

وتقبل الصحابة مناصحة الرعية وتوجيهها بصدور رغبة ونفوس راضية حتى قال عمر رضي الله عنه : (رحم الله امرأ أهدى إلينا عيوبنا) فوضعوا توجيه الرعية في موضعه الصحيح والحق أن إدراك هذا الدور الذي تؤديه حرية التعبير والنقد الذاتي في

صيانة النظام الديمقراطي وجعل الرأى العام على بصيرة كاملة بمجريات المسائل العامة يجعلنا نؤمن بدعوة الإسلام له فهو مشاركة في تبعات الحكم ووسيلة إلى تحرى الحق ومعرفة الصواب من الأمل .

• وينادى الميثاق بالمساواة بين الرجل والمرأة فيقول : (إن المرأة لا بد أن تتساوى بالرجل ولا بد أن تسقط بقايا الأغلال التي تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمق وإيجابية في صنع الحياة) .

ولقد شمل الإسلام المرأة بعطفه ورعايته في جميع شئون الحياة وسماها إلى منزلة رفيعة لم تصل المرأة إلى مثلها بل لم تصل إلى ما يقرب منها في أية شريعة أخرى من شرائع العالم قديمة ومتوسطة وحديثة وسوى بينها وبين الرجل في القيمة الإنسانية المشتركة وفي الحقوق المدنية وفي الحقوق العامة وخاصة حق التعليم وحق العمل ولم يفرق بينهما إلا حيث تدعو إلى هذه التفرقة طبيعة كل من الجنسين وما يصلح له ومراعاة الصالح العام وصالح الأسرة وصالح المرأة نفسها قال تعالى (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض) .

وقال جل شأنه : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) وقال تعالى : (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)

فلمرأة من الحقوق في نظر الإسلام مثل ما عليها من الواجبات وللرجل مثلها واجبات بمقدار ماله من حقوق وحتى الدرجة التي منحها الله له وجعل له القوامة على الأسرة بسببها ليست حقاً خالصاً من الواجبات .

• وينص الميثاق على حق الطفولة فيقول : (إن الطفولة هي صناعة المستقبل ومن واجب الأجيال العاملة أن توفر لها كل ما يمكن لها من تحمل مسؤولية القيادة بنجاح) وإننا لنسمع صوت الاسلام ينادى بحماية الطفولة ويدعو إلى رعايتها والعناية بتعليمها وتأديبها وعطف قلوب الآباء والأمهات على أبنائها وجعلها زينة الحياة الدنيا وشرع لها من الحقوق ما لم تدركه أوروبا إلا في أواخر القرن السابع عشر ولا يتسع المجال للإفاضة فيما قرره الاسلام للطفولة من حقوق توفر لها الحياة الكريمة المطمئنة قال عليه السلام : (أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله) وقال صلوات الله عليه : (من كان له صبي فليتصاب له) وهكذا نرى الاسلام قد أنصف الطفولة ففنع وأدها وقتلها قال تعالى : (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم) ونراه حررها بما كانت تعانيه من عسف وقسوة ثم أخذ يوصي بهم قال عليه السلام : (إلزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم) .

• وينص الميثاق على حماية الأسرة فيقول : (إن الأسرة هي الخلية

الأولى للمجتمع ولا بد أن تتوافر لها كل أسباب الحماية التي تمكنها من أن تكون حافظة للتقليد الوطني وللأسرة في الإسلام مكانتها المقدسة ولذلك رتب شؤونها وجعلها تعيش في إطار من التسكافز والمودة والتراحم ورسم لها خطوطا عريضة للوئام والوفاق وتجنب الشقاء والشقاق لأنها الخلية الأولى التي إذا صالح أفرادها صالح المجتمع كله قال تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) وقوله جل شأنه (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) ثم عاد الإسلام بعد ما أكد رابطة الألفة وشيجة المحبة والرحمة بين الزوجين ليدعو الأبناء للبر بالوالدين قال تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه) . وقوله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) وواجب الأب وواجب الأم معا أن يقررا في حياة المنزل بينهما وفيما بين أولادهما سلوكا يقوم على الإيثار والتعاون الفكري والعملي وأن تنشئ كل أسرة بنيتها وبناتها على النظام العادل الأمين الذي يستمد تعاليمه من الدين وقد قال عليه السلام : (ما نحل والد ولده نخلة أفضل من أدب حسن) وإن أفضل الأدب وأنفعه أن يتلقى الناشئ في أحضان

الأسرة الواعية الصالحة تربية سليمة وتوعية وطنية ثابتة لتتوافر للأسرة أسباب الحماية وقد قال عليه السلام : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيته) وبهذه الرعاية تكون الأسرة الصالحة التي يرضاها الإسلام ويوضح معالمها دستور النورة فتكون دعائمها الخلق والدين والوطنية .

• ويقرر الميثاق عن السلام (إن شعبنا يعتقد في السلام كبداً وبعقد فيه كضرورة حيوية ومن ثم لا يتوانى عن العمل من أجله مع جميع الذين يشاركونه نفس الاعتقاد) .

إن السلام إذا كان مبدأ النورة بنص الميثاق فهو شعار المسلمين في مشارف الأرض ومغاربها منذ ظهور هذا الدين الكريم حتى اليوم وهو من أعظم القيم الدينية حتى قيل إن الإسلام من السلام الذي هو ضد العدوان سلام بين العبد وبين نفسه وبينه وبين الله تعالى وبينه وبين غيره من الناس والإسلام دين يدعو إلى السلام ويضع هذه القيمة على رأس القيم التي فيها صلاح العالم خيره والآخر يده وها هي ذى ومن ورائها الإسلام تنتصر في العالم لأنها الحق قال تعالى (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) فمن جاء مسلماً ينبغى أن تتعاون وإياه وبهذا التعاون يتم التآلف ويقوم العمران قال تعالى : (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) .

وإذا كانت تحيئنا في هذه الحياة وعلى هذه الأرض (السلام عليكم) وهى شعارنا الذى نهتدى به فهى شعار أصحاب الجنة فى الآخرة لأنها أعظم قيمة ينالها المرء فى دنياه وآثرته قال تعالى : (دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحيتهم فيها سلام) وقد دعانا الاسلام إلى أن نهتدى بالسلام فى حياتنا وسلوكنا وأن نحمل سلامنا بالقوة إذا لزم الأمر فهذه الآية الكريمة تشير إلى السلم المسامح فى قوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)

• ويذكر الميثاق حق المواطن فى العدل فيقول : (كذلك فإن العدل الذى هو حق مقدس لكل مواطن فرد لا يمكن أن يكون سلعة غالية وبعيدة المنال على المواطن ، إن العدل لا بد أن يصل إلى كل فرد حر ولا بد أن يصل إليه من غير موانع مادية أو تعقيدات إدارية) .

ولقد حرص الإسلام على توفير العدل لجميع المسلمين بل جعل العدالة واجبا إنسانياً عاماً تعيش فى قانونه الإنسانية كلها على هدى مستقيم لا عوج فيه وعندما نتجه إلى نصوصه يواجهنا قول الله سبحانه : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) ويواجهنا قوله تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا

بالعدل) بل إن العدالة الإسلامية تعم العدو والوئى على السواء قال تعالى (ولا يجرمكم شئآن (عداء) قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى) بل جعل العدالة حتما للضعيف والتقوى والجاهل والعالم والدول المتقدمة والدول المتخلفة فليس للمستقدم حق فوق حق المتخلف في الوجود وإن الأحاديث النبوية تدعو إلى العدل فقد قال عليه السلام عن ربه : (يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا) وإن النبي عليه الصلاة والسلام ليصرح بأن كل عمل يقبل الغفران إلا ظلم العباد فإن الله لا يغفره إذا لم يسامح العباد الذين وقع الظلم منهم وإن الإسلام قد وضع بالنسبة للعدالة المطلقة في داخل البلاد وفي علاقات الدول نظاما لم يشهد العالم مثله عدلا .

• وينص الميثاق على حق كل مواطن في العلم فيقول (حق كل مواطن في العلم بقدر ما يتحمل استعداده ومواهبه إن العلم طريق تعزيز الحرية الإنسانية وتسكينها كذلك فإن العلم هو الطاقة القادرة على تجديد شباب العمل الوطني وإضافة أفكار جديدة إليه كل يوم وعناصر قائمة جديدة في ميادينه المختلفة)

ولم يسبق الإسلام دين وقف من العلم كموقف الإسلام من الدعوة إليه والإشادة بفضله فأول ما نزل من القرآن على النبي الأسمى عليه السلام : (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) .

وفي القرآن والسنة من الإشادة بفضل العلماء ما يلفت النظر إلى سمو مكانة العلم في الإسلام قال تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم) وفي الحديث عن النبي عليه السلام : (يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة) ويدل على فضل العلم قوله عليه السلام : (قليل العلم خير من كثير العبادة) ويحث الله تعالى على طاب العلم بقوله : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ويقول النبي الكريم : (طاب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وقال عليه السلام في فضل الرحلة في طلب العلم : (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع) ولا يرى الإسلام أن للعلم حداً ينتهي عنده العالم فقال تعالى : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) فليأخذ كل بقدر طاقته ويرى العلماء أن العلم المطلوب في الشرع نوعان : (ما هو فرض عين) وهذا واجب على كل مكلف ومنه : (ما هو فرض كفاية) وهو واجب على جميع المكلفين لا فرداً بذاته وما عدا هذين النوعين فهو (مندوب أو مباح) ونتيجة ذلك كله أن العلم في الإسلام هو شرف وواجب وحق فهو شرف لما ذكرناه من النصوص التي تشيد بفضله وترفع مكانة العلماء . وهو واجب لما ذكرناه من أن العلم إما فرض عين أو فرض كفاية . وهو حق فإن الإسلام يفرض على العالم أن يعلم وعلى الجاهل أن يتعلم كما قدمنا ولذا كان من الواجب على الإنسان أن يسعى لتحصيل العلم وعلى

الدولة والمجتمع أن تيسر له الوصول إلى هذا الحق فهو من الحقوق الطبيعية في الإسلام .

وأخيراً نستطيع بعد هذه الجولة أن نشير إلى حقيقة ثابتة لا ندحة لنا من الإشارة إليها وهي أن الإسلام قد عني بوضع تنظيم شامل للدولة والمجتمع الذي تقوم عليه الدولة ، وضع هذا التنظيم في صيغة مبادئ كلية وأصول عامة كما أسلفنا وعهد إلى العقل الإنساني أن يبني على هذه الأصول جميع الأوضاع والأجهزة التنفيذية التي تعني بحاجات عصره على ضوء ظروف هذا العصر بشرط أن يكون هذا البناء دائماً في إطار هذه الأصول العامة وكانت تبعة كل جيل في كيفية تطبيق هذه الأصول العامة والتعاليم السككية وارتداد الوسائل العملية التي تضع هذه التعاليم موضع التنفيذ - كانت تبعة كل جيل في هذا الشأن تبعة كبيرة ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن جيلنا كان من أصدق الأجيال في حمل هذه الأمانة فإن مشروع المشاق الوطنى الذى قدمه السيد الرئيس المفدى جمال عبد الناصر للأمة العربية ولكل أمة إسلامية تريد أن تهتدى بهديه هو تطبيق عملى لتعاليم الاسلام السككية تطبيقاً يلبي مطالب هذا العصر .

ولنوضح ما نشير إليه نقول إن الاسلام عني بوضع هذه التعاليم السككية في فضائلها الثلاث من خافية واقتصادية وسياسية . تعاليم سياسية صريحة إلى جانب تعاليم اقتصادية حاسمة حتى تتفاعل

هذه التعاليم مع التعاليم الخلقية فيستقيم أمر المجتمع الانساني إلى
أبد الدهر .

وهذه التعاليم بفروعها الثلاثة تتساند وتتفاعل معا في تنظيم
المجتمع وهذا التساند والتكامل في التعاليم الإسلامية بفروعها
الثلاثة هو ميزة النظام الإسلامى على جميع النظم السابقة أو المعاصرة .
وهذه آية كريمة تبرز لنا مدى هذا التساند والتكامل قال تعالى
(والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم
يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى
بينهم وما رزقناهم ينفقون . والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون)
فاشورى فى الآية (وأمرهم شورى بينهم) هى الدعامة الأساسية
لليدوقراطية السليمة ويحفها من اليمن بتعاليم أخلاقية رفيعة يلتزمها
المواطنون جميعا (والذين يجتنبون كبائر الإثم . . . إلخ) ومن
اليسار باتجاه اقتصادى معين يهدف إلى توجيه سياسة الحكم إلى البر
بالمواطنين (وما رزقناهم ينفقون) وهو أساس الاشتراكية
الرشيذة . والفقرة الأخيرة (والذين إذا أصابهم البغي . . . إلخ)
تنقلنا إلى نطاق داخلى ودولى معا فإذا أصاب مجتمعا عدوان من
مجتمع آخر فهو ينهانا عن الاستسلام ويأمرنا بصدد العدوان وإعداد
القوة لدفعه حتى نلتصر على البغى وهكذا تقترن الديمقراطية
السياسية بديمقراطية اقتصادية وبنهج أخلاقى يلتزمه المواطنون
وإلا كانت ديمقراطية زائفة فاشلة .

خاتمة

ولو أن باحثاً تتبع كل كلمة في هذا الميناف وكل مبدأ قام عليه وأراد أن يرجعها إلى نظائرها من كتاب الله وسنة رسوله لاستطاع أن يأتي في ذلك عما يطمئن القلوب ويشفي الصدور ويوضح السبيل القويم الذي سلكه معلمنا الأكبر فيلسوف التورة المؤمنة جمال عبد الناصر في التعيئة الروحية بالميثاق . ولا عجب في أن يسلك بنا البطل المؤمن (جمال) هذا المسلك ليجدد ديننا وقيمنا الروحية ويربى أبنائنا تلك التربية الخلقية والدينية التي نالت أكبر قسط من عناية الأمم الإسلامية ومفكرها فكان التفقه في الدين والتخلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل أسمى غايات التربية الإسلامية وفي هذا يقول عليه السلام : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وللتربية الروحية في النظم الإسلامية وسائل نظرية وأخرى عملية : أما الوسائل النظرية فتتمثل في شرح الفضائل والرذائل وتحييب الفضائل إلى النفوس ببيان محاسنها ومالها من آثار نافعة في حياة الأفراد والجماعات ، والتنفير من الرذائل ببيان مساوئها ومالها من آثار ضارة هدامة قال تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) .

وأما الوسائل العملية فهي أهم بكثير في نظر الإسلام من الوسائل النظرية وهذه الوسائل العملية هي :
الاولى : أن تبث الأخلاق عن طريق القدوة الصالحة ومحاكاة

السلوك الفاضل وفي هذا يقول الله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) .

الثانية : تتمثل في أخذ الصبي وغيره بمزاولة الفضائل الخلقية والواجبات الدينية مزاوله عملية حتى تصبح هذه الفضائل وهذه الواجبات عادة وطبيعة له وفي هذا يقول عليه السلام (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر) .

الثالثة : تتمثل في إبعاد المؤثرات الضارة بالأخلاق ومن ثم يرى مفكرو الإسلام أنه من الواجب أن يستبعد من الدراسة في المراحل الأولى الأدب المكشوف والخليع شعره ونثره وقصصه لما يحدثه هذا اللون من الأدب من أثر سىء في أخلاق الناشئة (روه من الشعر أعفاه ومن الحديث أشرفه)

ولعلنا جميعاً ندرك أن باعث نهضتنا وحارس قيمنا الروحية (رئيسنا جمال) قد أخذنا بهذه الوسائل الإسلامية في شحن أرواحنا بالتوجيه الإنساني وإعدادنا للسير في طريق السلوك القويم لتحقيق القيم الأخلاقية أو الروحية أو الإنسانية الفاضلة المستوحاة من توجيهات الدين وتعاليمه .

وهكذا نلمس في الميثاق نفحة من الروحانية المتدفقة ونحس انعكاسه نورانية متوهجة لتلك العقيدة المتينة المتغلخلة في قلب صاحب الميثاق ونشعر بأن (عبد الناصر) لم يكن هو الذى يتحدث.

بالميثاق في غلالة الإشراق المؤمن ورواء الإسلام الهادف ولكن
المتحدث به كان حقاً أمل أمة ورجاء شعب ولسان نهضة وعنوان
بعث وصوت تاريخ ، إنه انتفاضة اليقظة وومضة الوعي وانطلاقة
القائد لأمته العربية إلى آفاق المستقبل الباسم والغد المشرق
السعيد . .

مشروع الميثاق نسخة

للاستشارة

للاستشارة

للاستشارة

للاستشارة



١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

٤١٠١٢ - ٤٠٧٥٣ | تليفون

٤٠٨١٤ - ٤٠٥٨٨

لجنة اخترنا للطالب

عاطف البرقوقي : رئيس اللجنة

محمد عطا : مقرر اللجنة

أعضاء

محمود محمود
الدكتور حسين النجار
على الجمهلاطي



١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون } ٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤
٤١٠١٢ - ٤٠٧٥٣